**الفلسفة والبيوإتيقا**

**مح 2- موضوع البيوإطيقا ومجالاتها وعلاقتها بالعلوم الأخرى**

**البيوإطيقا أو أخلاقيات البيولوجيا أو أخلاقيات الحياة مصطلح يشير إلى إتساع موضوعها ليشمل كل ما يتعلق بالجانب الحيوي في علاقته بالمجال الأخلاقي، وهذا يعني أنها تتسع لمجالات الحياة كلها انطلاقا من الحياة النباتية وصولا إلى الحياة الإنسانية المتطورة، لكن الباحثين درجوا من الناحية التاريخية على حصر موضوع البيوإطيقا في مجال الطب والصحة عامة، ويتزعم هذا الاتجاه " هيليغرز " الذي يبرر ذلك بكثرة مواضيع مجال الصحة والطب إلى حد أن البيوإطيقا لا تستطيع تجاوزها إلى غيرها من المسائل الحيوية الأخرى. أما الباحث غي ديوران حاول أن يحدد مواضيعها على أساس إجماع أغلب الباحثين، وقد قسمها إلى ثلاثة أقسام:**

1. **النواة المركزية: يقصد بها جملة المواضيع الأساسية في البيولوجيا عامة أو الطب خاصة والتي أحدثت إحراجا أخلاقيا مثل: الاجهاض عامة والإجهاض العمدي، التشخيص المبكر للجنين وهو إخضاع الجنين في حالة التكوين من ثمان خلايا إلى إجراء إختياري وراثي وتقديري، بهدف تفادي تشوهات أو أمراض وراثية، كذلك مسالة القتل الرحيم أو الموت الرحيم الذي يهدف إلى توفير وفاة سهلة خالية من الألم. وقضية الإخصاب الصناعي الذي يتم بموجبه وضع مني الزوج أو مني أحد المتبرعين في المسالك الطبيعية للمرأة في مرحلة التبويض. ومن مظاهر الإخصاب الصناعي: مسألة البنوك المنوية وهي عبارة عن أوعية صلبة يحفظ فيها المني عن الحرارة ويملأ بالأزوت السائل الذي يبقيه في الدرجة 1960، والذي يمكن أن يستخدم لاحقا. وكذلك مسألة أطفال الأنابيب أو الإخصاب خارج الرحم، وهو تلقيح بويضة المرأة في أنبوب إصطناعي، وأخيرا مسألة الأم الحاضنة: وهي قبول إمرأة ما أن تحمل طفلا لزوجين، أي أن تحمله بدلا عن إمرأة عاقر غالبا مقابل مبلغ مالي.**
2. **مواد لصيقة بالنواة المركزية: وتشمل المواضيع الحيوية التي تفرض تفكيرا أخلاقيا أهمها:**

* **منع الحمل ووسائله، تباعد الولادات**
* **الحرب والأبحاث حول الأسلحة البيولوجية والكيميائية، التعذيب، الحكم بالإعدام.**
* **براءات الاختراع الحيوية، الأبحاث التي تجري على الحيوانات، علم البيئة.**

1. **مواضيع ثلاثية الأبعاد: تهتم البيوإطيقا بالحالات الشخصية، وبذلك تعنى بالقرار الشخصي للمريض والمتدخلين في حالته الصحية وبالحوار الذي يجري بينهم والقرار الذي يتوصلون إليه في آخر المطاف. كما تدرس بالمواضيع المحتملة في البحث، وهذا مجال الميكرو-أخلاقيات.**

**مجالات البيوإطيقا:**

**يمكن حصر مجالات البيوإيطيقا التي تنبثق عن موضوعاتها المختلفة في ثلاثة مجالات هي:**

1. **أخلاقيات العيادة:**

**يرى الباحث الأمريكي (دفيد روي ) ارتباط " الأخلاقيات العيادية بكل ما يواجه الأطباء والفرق الطبية من قرارات وشكوك واختلافات قيمية ومعضلات، وذلك سواء أمام أسرة المرضى أو داخل غرفة العمليات أو في مكتب الاستشارة الطبية أو في العيادة أو حتى في منزل المريض " وهذا يعني أن مواضيع أخلاقيات العيادة تتعلق بالقضايا التي يصعب اتخاذ قرار فيها مثل قضايا: الأطفال حديثي الولادة بتشوهات خطيرة، ووسائل المحافظة على تأمين حالات الغيبوبة، والحالات المتقدمة للمرضى، والبوح بالأسرار الخاصة بالمريض لعائلته...وهذا يوضح أن أخلاقيات العيادة تتعلق بثلاثة أطراف: المريض، الطبيب، المجتمع. وبالعلاقات الإنسانية والأخلاقية التي تربطها، فعلى مستوى المريض تهتم أخلاقيات العيادة بوضعيته الصحية وآلامه وتاريخه الشخصي ووضعه العائلي. وتعنى أيضا بالطبيب والأخلاق التي يجب أن يتحلى بها وخاصة الصدق فيما يقول ويفعل مع مرضاه وأهاليهم، وأخيرا تعنى باحترام أخلاق المجتمع داخل العيادة، الأمر الذي أدى إلى التزام العيادات بمبادئ ارشادية وأخلاقية تضعها المؤسسة تتضمن تفكيرا حول ما يجب فعله في سائر المسائل المطروحة في العيادة.**

1. **أخلاقيات البحث العلمي:**

**أخلاقيات البحث العلمي مفهوم قديم لطالما تكلم عنها المفكرون والفلاسفة، وهي تتعلق بما يتميز به الباحث من تجرد وموضوعية وصدق ونزاهة وعدل في تناوله لمواضيع بحثه، ولكن هذه الأخلاقيات في مجال البيوإطيقا تزداد أهمية أكثر، لأن البحث العلمي لا يقع على أشياء مادية صلبة كما هو حال الفيزياء أو الكيمياء، بل يقع على الجانب الحيوي في علاقته بالجانب الإنساني، فأخلاقيات البحث العلمي إذن تتعلق ببيان الجوانب الأخلاقية في الأبحاث والتجارب العلمية المنصبة على الحياة البيولوجية البشرية. وفي هذا الصدد يرى ديفيد روس أنه علينا الوقوف على ثلاثة قضايا أساسية: تحقيق سعادة أفراد المجتمع ومصلحتهم المشتركة، مراعاة مسؤولية الطبيب إزاء مرضاه، احترام مطالب المرضى الذين يرغبون في الاستفادة مما يستجد من علاج. ولتكريس مثل هذه الأخلاقيات في البحث أنشأت الدول المتقدمة جمعيات منها: اللجنة الأخلاقية الأمريكية سنة: 1974، واللجنة الوطنية الاستشارية لأخلاقيات علوم الحياة بفرنسا سنة 1983.**

**ج- أخلاقيات الصحة العمومية:**

**إن قضايا مثل الإجهاض والموت الرحيم وتقنيات الانجاب الحديثة والهندسة والعلاجات الوراثية واستخدام تقنيات النانو لا ينحصر تأثيرها على من يشاهدها ويستخدمها فقط، بل يتسع ليمس بالصحة العمومية في المجتمع، ومن هنا تصبح قضايا سياسية واجتماعية تتطلب تدخل الحكومة، ويميز الباحثون في إطارها ثلاث مستويات:**

* **الصحة العمومية: تطلق على مجموع التدابير الوقائية والعلاجية والتربوية والاجتماعية التي تهدف إلى المحافظة على صحة الفرد والجماعة وتحسينها ومحاربة ما يعترضها من أمراض معدية.**
* **منظومة العلاج: يقصد بها المبادئ الموجهة والتنظيم الفعلي القائم للعلاج الصحي في بلد ما.**
* **توزيع الموارد الصحية: وتعني توفير الموارد اللازمة للعلاج سواء كانت مادية أو بشرية وتوزيعها توزيعا عادلا من طرف السلطات المختصة.**

**البيوإطيقا والعلوم والمعارف الأخرى:**

**من خلال تعرفنا على مفهوم البيوإطيقا وموضوعها ومجالاتها يتبين أنها كفرع من الأخلاقيات التطبيقية قد نشأت عن التطورات العلمية والتقنية المعاصرة والتساؤلات الفلسفية والأخلاقية حولها لاسيما في المجال الحيوي الإنساني، وهي كما تقول جاكلين روس تدل " على خطاب متعدد المواقف، ومتعدد الاختصاصات، بما أنها تحضر في قلب تمازج حقول معرفية شتى، كما أن البيوإطيقا لا تعني فقط الفئات المختصة من باحثين وأطباء، بل تتجاوز كذلك إلى الرأي العام المدني و الاجتماعي بما أنه هو موضوع التطبيقات البيوتكنولوجية " فهي إذن ترتبط بعدة علوم ومعارف أهمها البيولوجيا والطب، والفلسفة والدين، والقانون والسياسة وعلم الاجتماع :**

* **البيولوجيا والعلوم الطبية: البيولوجيا هو علم الحياة أو علم الكائنات الحية: الإنسان، الحيوان والنبات، ويدلنا تاريخ هذا العلم مع كلودبيرنار وباستور كيف انتقل من الدراسات الوصفية إلى الدراسات العلمية والتجريبية، ومع تطور الوسائل التقنية أصبح في الإمكان دراسة الظواهر البيولوجية دراسة علمية تماما مثلما ندرس في الكيمياء والفيزياء، وقد ترتب على ذلك تنوع العلوم البيولوجية من علم الحيوان والنبات إلى العلوم الطبية وعلوم الجراحة والوراثة وتقنيات النانو، ومن دراسة الظواهر الكبيرة ( الماكروفيزيائية ) إلى الظواهر الصغيرة ( الميكروفيزيائية ) وبدأت تطرح هذه العلوم المشاكل المتعارضة مع الأخلاق والقوانين الإنسانية خاصة في الطب مثل الموت الرحيم، واستخدام تقنيات النانو في العلاج، وزرع الأعضاء، والهندسة الوراثية، وإمكانية تغيير الجينات، والاستنساخ...ومن هنا تأتي البيوطيقا كنتيجة لهذا التقدم العلمي الواسع لتعالج مثل هذه المشكلات، وستظل البيوإطيقا تعالج كل المشاكل الحيوية والتقنية والطبية التي تطرح أسئلة أخلاقية.**
* **العلوم القانونية: ترتبط البيوإطيقا بحقوق الإنسان، وبالتالي بالقوانين المدنية والشرعية التي تنظم تلك الحقوق وتحدد الواجبات، حيث أصبح الإنسان في العلوم البيولوجية والطبية المعاصرة محل تساؤل من حيث التجارب التي تجرى على جسمه ( تعديل المورثات، الاستنساخ، زرع الأعضاء، التجميل، الإنجاب الإصطناعي، الموت الرحيم...) ومن حيث الوسائل التقنية المستخدمة في حل هذه المشكلات، الأمر الذي جعل كرامة الإنسان وحقوقه في مثل هذه الحالات محل تفكير قانوني وشرعي، ومن الأدلة على ذلك أن القانون الشرعي الإسلامي يضع هذه القضايا ضمن فقه النوازل، أي القضايا المستجدة التفصيلية التي ليس لها حكم شرعي مسبق، وقد اختلف الفقهاء ورجال القانون في الحكم عليها، من ذلك مثلا أنهم ميزوا بين الجراحة التجميلية الحاجية، أي الناتجة عن حاجة ضرورية مثل تشوه أنف أو عين إنسان، وبين الجراحة التجميلية التحسينية التي تستهدف تجميل أعضاء جسم الإنسان. أما القوانين المدنية فهي تحرص على حرية المرضى وعدم تهميشهم واحترام آرائهم فيما يتعلق بمصيرهم الطبي...**
* **علم السياسة:**

**ترتبط مسائل البيوإطيقا أيضا بالسياسة، حيث تعنى سياسات الحكومات بالصحة العامة للمواطنين، وتوفر الوسائل والموارد الضرورية التي تكفل تحقيقها، وتزداد مسؤوليات الحكومات أكثر مع ما تطرحه المشاكل البيو-تكنولوجية والبيو-طبية من إحراج أخلاقي وإنساني، ولهذا كثيرا ما تستعين هذه الحكومات بالجمعيات والمنظمات المتخصصة التي تساعد على حلها.**

**علم الاجتماع: بما أن علم الاجتماع يهتم يسلوك الفئات الاجتماعية ضمن سياقاتها الاجتماعية فإنه يتداخل مع البيوإتيقا التي تركز على السلوك الأخلاقي المتعلق بالطب والتقنيات البيولوجية وكيفية استخدامها في المجتمع، فمثلا عالم الاجتماع يدرس التأثيرات الاجتماعية للتقنيات الطبية والحيوية، وتأثيرات الأمراض العامة عل المجتمع مثل الكوفيد 19, يركز أيضا على مسائل العدالة وتوزيع الموارد،كمايهتم بالقرارات الأخلاقية المتعلقة بالمشاكل البيوطبية والتقنوبيولوجية ومدى تأثرها بالمكانة الاجتماعية للأفراد وظروف حياتهم. ومسائل الهوية الجينية والفردية ومستقبل الإنسان على ضوء تلك القرارات.**

**أما علاقة البيوإتيقا بالفلسفة والدين فسنخصص لها محاضرتين خاصتين بهما.**